أطفال الشوارع إلى أين؟

هالنى وغيرى ما قرأته عن جرائم تتصدر كل وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة، يرتكبها الأحداث الصغار أو ما يسمونهم أطفال الشوارع. ولعل الجريمة التى ارتكبها ما يسمى «التوربينى» فى حق هؤلاء الأطفال ما هى إلا تجسيد وتعظيم لهذه المشكلة، ولذا كان فى الفترة الأخيرة هذا الحراك المجتمعى من أجل حماية هذه الفئة.

لابد من إعادة تأهيل هؤلاء الأطفال ودمجهم بالمجتمع

فكانت التشريعات التى أقرها مجلس الشعب المصرى وكذلك كان الجهد الدءوب للسفيرة مشيرة خطاب، والمجلس القومى للأمومة والطفولة، من أجل أن ترى تلك التشريعات النور، ولعل هذه الجرائم التى يرتكبها هؤلاء الأطفال تبرز صورة تفكك المجتمع، حيث أصبح هؤلاء الأطفال فئة ليست بقليلة، وكلما زادت نسبتهم فى الشارع، زاد معدل الجريمة، ومنها «السرقة» وتعاطى المخدرات والاتجار فيها»، و«انحدار القيم الانسانية للإناث»، «والمخالفات المرتبطة بالجنس لدى البنين والبنات».

● وظاهرة أطفال الشوارع ناتجة عن تأثير مجموعة من الاضطرابات أو عدم التوازن الاجتماعى، أو ضغوط اقتصادية، كما يمكن أن تكون بسبب الاضطراب النفسى للطفل، فظاهرة أطفال الشوارع هى ظاهرة نفسية كما هى مشكلة اجتماعية خطيرة.

إن هدفى من هذا المقال ليس الإدانة أو الشجب، بل بغرض رعاية هؤلاء الأحداث والجانحين، والأخذ بأيديهم وإصلاحهم وإبراز مشاكلهم للمجتمع.

أسباب تفاقم مشكلة أطفال الشوارع

حين نتحدث عن مشكلة أطفال الشوارع يتضح لنا أن هذه الظاهرة معقدة لصعوبة تناولها من جانب المهتمين بدراستها، وذلك لعدم وضوح الرؤية ولعدم الاتفاق العام المشترك لتحديد المسببات التى لها دور أساسى فى حدوث هذه الظاهرة، ولكن هناك عوامل أولية ومنها الأمية، وتدنى المستوى الثقافى بين آباء أطفال الشوارع، وفى الأوساط التى يعيشون فيها وغالبا ما يأتون من أسر مفككة اجتماعيا وتنتشر حالات الطلاق بين أسرهم أو زواج أحد الأبوين من الغرباء أو هجرة أحدهم، وغالبا أيضا ما يأتى أطفال الشوارع من أسر كثيرة العدد، وما يتبع ذلك من عدم قدرة الأهل على مجابهة الحياة، وعندما يتوجه الطفل إلى الشارع، تلتقطه الأيادى المارقة وتستغله أسوأ استغلال، فيصبح بين يوم وليلة محترفاً للجريمة والانحراف. «وعندها يقف المجتمع عاجزا عن إنقاذه».

أطفال الشوارع وسمات شخصيتهم

ليس من الغريب أن يتصف هؤلاء الأطفال بصفات سيئة وسلوكيات ضارة للمجتمع، وهى ناتجة عن قوة استجابة هؤلاء الجانحين للمؤثرات الضارة المحيطة بهم:

ومن هذه الصفات العداء الموجه نحو الأسرة والمجتمع والميل إلى العنف، وعدم القدرة على التكيف، والسرقة، والكذب، والميل لمصاحبة الأطفال الكبار الذين لديهم حوادث سابقة «مسجل خطر» بالإضافة إلى اهتمامهم بالأمور الجنسية وترديدهم للكلمات المبتذلة.

كما يتصف هؤلاء الأطفال بالغربة داخل الأسرة مما يدفعهم إلى بدائل خارج نطاق الأسرة، فيجدونها فى أوكار الجريمة.

بقلم:
أحمد عبد ربه نور
الأخصائى النفسى

عار على المجتمع أن يسكن أطفالنا القبور

التشريعات الجديدة لابد من تفعيلها لضمان حماية الطفولة

ضرورة دمج أطفال الشوارع داخل المجتمع

● دور المجتمع فى مواجهة المشكلة:

لا أحد يستطيع أن ينكر أن المؤسسات المجتمعية يمكن لها أن تقوم بدور فعال ومؤثر فى هذه المشكلة الخطيرة التى تهدد كيان المجتمع ، وذلك من خلال التعامل الفعال والبناء بين الجهات المختلفة، كل حسب دوره واتجاهاته، من أجل وقاية ورقابة هؤلاء الأطفال، ورعاية من انغمس منهم فى عالم الجريمة والسجون.

ومن هذه الأدوار:

● إصدار التشريعات الخاصة لحماية الطفولة، بشكل عام والطفولة البائسة بشكل خاص من الاستغلال.

● حث المجتمع وفئاته وشرائحه على المساهمة فى دعم وتطوير خدمات الرعاية النفسية والاجتماعية لفئات صغار السن من أطفال الشوارع، وذلك من خلال إنشاء مؤسسات للرعاية ، وإنشاء جمعيات أهلية تتولى هذا العمل.

● تحسين وتطوير الخدمة فى المؤسسات الخاصة برعاية الأحداث والجانحين، وذلك بتوسيعها وتوفير الإمكانيات المادية والبشرية المؤهلة لذلك.

● لابد من اشراك كل من الأسرة ، المدرسة، المؤسسات الاجتماعية والنفسية فى إعادة تأهيل أطفال الشوارع، ودمجهم فى المجتمع.

● لابد أن تكرس وسائل الإعلام المختلفة جهدا ودورا أكبر فى تبصير عام وشامل لكل الناس بخطورة ظاهرة أطفال الشوارع.

وإن كان لحديثى نهاية فلابد أن أقول إن المشكلة التى نحن بصددها تهدد وحدة المجتمع وأن هؤلاء الأطفال ليسوا قلة بل يصلون إلى عشرات الألوف ويتواجدون فى كل مكان فى أرض مصر فهم يسكنون المبانى المهجورة، وأسطح القطارات، وأسفل الكبارى، وكذلك يسكنون القبور.

فبينما كنت أسير وأنا فى طريق عودتى إلى بلدتى وجدت عشرات الأطفال يسكنون القبور ويتعاطون المخدرات ويسرقون الماشية ويمارسون كل ما هو شاذ.. فعار على المجتمع أن يكون مثل هؤلاء الأطفال بلا مأوى وبلا عمل وبلا أهل فلنكن جميعا عونا لهم ونعمل على مساعدة كل الجهات التى تهتم بقضيتهم.

وكذلك تحية خاصة لكل من أثار هذه القضية فى الآونة الأخيرة وخاصة المجلس القومى للطفولة والأمومة وكذلك كل وسائل الإعلام.

ثقافة الإهمال وغياب أدب الحوار

تزخر حياتنا النفسية والاجتماعية بالكثير من العنف اللفظى واغتراب الذات، ومما لا شك فيه أن الأصل فى طبيعة الأفراد فى أى مجتمع هو التعايش الإنسانى والتفاعل الاجتماعى والتواصل البشرى والاتصال الدائم المستمر فضلاً عن الاهتمام المتبادل والمساندة النفسية والاجتماعية من جانب البعض نحو البعض الآخر والإحساس بهذا الآخر.

وفى زمننا الكئيب - إن صح التعبير - كثيراً ما ترى رجلاً (يتأفف) وامرأة (تتعفف)، كما تلاحظ بعض الشباب الذين يتسمون شخصياً باليوعة والتطرى والخلاعة والإهمال، والكثير من الفتيات اللاتى يتشبثن بالتفاهات والتفكير السطحى والخيال المريض، ويمكن القول بأن الخواء والثرثرة والعزلة واللامبالاة قد أصبحت من مؤشرات وسمات العصر. حدثنى أحدهم قائلاً: ذهبت لزيارة صديقى القديم الأوحد أشكو له همى من خلال مشكلة خاصة تؤرقنى وتقلقنى، وحينما بدأت حديثى معه كنوع من «الفضفضة» أو «التنفيس» بادرنى بأسلوب «الطناش» الصادم، قائلاً لى فى حدة وضيق صدر: «هات من الآخر».. فتوقفت عن الكلام، وضاع منى البيان، وفقدت الأمن والصديق لأنى ضللت الطريق.. إنها ثقافة الإهمال السائدة ونتاج العولمة السوداء الحالكة.

وفى نفس السياق يخاطبك بعضهم بغلظة وجفاء وحماقة وغباء دون أن يعرف قدرك أو مركزك متغافلاً أدب الحوار الذى فقدناه، والذوق الذى محوناه، ويعزى ذلك كله إلى عنف الحياة، واغتراب الذات عن المجتمع.

علينا أن نتقى الله ليعلمنا الله، يعلمنا الحوار الحسن، والتلطف فى السلوك والمنطق واللين فى القول والعمل. وعلى سبيل المثال، عندما نقرأ خاشعين الآية رقم: ٨٣ فى سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ ... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ... ﴾ وكذلك الآية رقم:١٩ فى سورة الكهف قوله تعالى: ﴿ ... فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ... ﴾ وبلغة الإعجاز العددى فى القرآن الكريم، وُجد وتبين أن لفظة «وليتلطف» هى مركز دائرة القرآن الكريم، بمعنى أنه لو كانت كلمات القرآن - مثلاً - مائة وخمس كلمات ولكانت لفظة «وليتلطف» يسبقها اثنتان وخمسون كلمة، ويليها اثنتان وخمسون كلمة أيضاً والله أعلى وأعلم بمراده.

وفى نفس المجال نقرأ الآية رقم: ٤٤ من سورة طه فى قوله تعالى: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ وهكذا يكون أدب الحوار فى القرآن العظيم بوجه خاص والإسلام بوجه عام.

بقلم:

د.عزت عبدالعظيم الطويل

أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة بنها وعضو المجمع العلمى لبحوث القرآن والسنة